الشخصيات . هنا الفرق بين الايقاع الرمزي الذي يشحن الدلالة ، وبين الرمز الشامل الذي يحددها ويقننها في مصب واضح .

لا يمكن تحليل « رجال في الشمس » بمعزل عن تاريخها اللاحق ، عن اعادة كتابتها في « ما تبقى لكم » او انفجارها الشعبي في « أم سعد » . انها جزء من مسار روائي وفني ، حاول فيه كنفاني التقاط مفاصل الوعي الفلسطيني وصبها في لغة المرارات التي تسم نتاجه . فالخزان هو اطار الوجود الفلسطيني قبل الثورة . وهو الذي يقود الى الهزيمة . لكنه حين ينفجر يصبح أيقاعا شعبيا متفاوت الحجم . فأم سعد ، هي الرقصة الشعبية على اشلاء الخزان وقد حطمته ارادة التفجير الثورية . لكنها تبقى ، وهي تتعامل مع علاقاته في اطار تبسيطها الى اقصى الحدود . اي ان الرمز الكثيف المغلق ، الذي القى بظله على « رجال في الشمس » تبسط علاقاته الى اقصى الحدود في سبيل كتابة نشيد ثوري ، رومانسي الملامح ، رغم اتكاله على شخصية واقعية ومحاولته محاكاة الواقعية الاشتراكية . الرمز الفلسطيني ، يصل الى درجة انحلاله ، فيتزامن في داخله مستويان : المستوى الواقعي ، محاولة تحطيم الرمز من خارجه عبر اللجوء الى شخصية « أم سعد » الغنية بالدلالات الواقعية ، والتي تتعامل في علاقاتها مع ابسط الاشياء واكثرها مباشرة ، اشياء المخيم وملامحه المرسومة في تفاصيل الحياة اليومية . والمستوى الرومانسي ، الذي يشير الى ان واقعية العلاقات ، هي انتقال بها الى الرمز ، اي انها ليست ابعد من محاولة تبسيط للرمز المعقد وفك عناصره . لذلك تأتي « أم سعد » مشحونة بنبرة رومانسية واضحة ، وتأتي الحكمة الشعبية في داخلها وكأنها لتحل نهائيا مكان صوت المؤلف الذي ارتفع في نهاية روايته الاولى .

تأخذ الحكمة الشعبية هنا ، الدور المركزي ، انها الموجه الايديولوجي الذي يقع قبل الرواية وفي داخلها . وهي كموجه ايديولوجي تمثل على صعيد الكتابة الروائية الجواب المباشر على اسئلة الواقع . فولادة المقاومة وتحولها الى النبض الاساسي في حياة المخيم ، يترجم عمليا ، بانهيار اتجاهات الخوف ، الهرب ، الموت ، السابقة ، وببروز عناصر الحلم وقد تخلى عن اغطيته . يأتي الحلم هنا شفافا ويحمل في داخله مفاجأته بنفسه . هنا تتحول العناصر المختلفة في حياة المخيم الى انسجام جديد . فالمهمات التي تفرضها علاقات المقاومة تضبط المستويات المختلفة لحياة المخيم ، وتعيد تنظيم دلالاتها داخل حقل الممارسة . لكن المستوى الايديولوجي العام ، لا يزال مذهولا بظاهرتين : هزيمة حزيران التي فجرت على مستوى الايديولوجيا السياسية ، الفكر القومي الذي أصيب بصدمة مفجرة ، لانه توقع عكس ما حصل في ايام حزيران القصيرة . والبروز السريع للشخصية المستقلة النضالية للشعب الفلسطيني ، التي أتت لتسد فراغا سياسيا في لحظات بدت وكأنها انهيارية . تنعكس هاتان الظاهرتان في التخلي الواعي عن الوعي السياسي المسبق ، والانغراس في تفاصيل الممارسة الجديدة ، التي بدت وكأنها البديل الوحيد لافتراضات سابقة . لكننا الان نلاحظ تبسيطية هكذا تحليل ، ونلاحظ في الوقت نفسه انه كان محاولة اسقاط العجز السياسي على تفاصيل كانت دائمة مشرقة ، لالباسها ثوب الرمز وتحويلها الى اشارة جديدة تحل مكان الاشارات السابقة . هكذا لا تجيب « أم سعد » على السؤال الذي يطرحه قارىء « رجال في الشمس » ، ماذا جرى داخل الخزان قبل موت الفلسطينيين الثلاثة ؟ انها تجيب بسؤال جديد ، ماذا يجري داخل المخيم في ثنايا علاقات أم سعد ؟ ما هو منطق الحركة الذي بقي غائبا ؟ . ان الاجابة على تساؤل بتساؤل جديد يحكم بنية